محمد مهدي الجواهري (١٨٩٩م – ١٩٩٧م)

شاعر عربي عراقي، ينحدر من أسرة نجفية محافظة عريقة في العلم والأدب والشعر تعرف بآل الجواهر، نسبة إلى أحد أجداد الأسرة، والذي يدعى الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، والذي ألف كتابًا في الفقه واسم الكتاب (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام)، ومن هنا لُقِب بالجواهري، وكان لهذه الأسرة في النجف مجلس عامر بالأدب والأدباء يرتاده كبار الشخصيات الأدبية والعلمية، وهو من أصحاب المدرسة الكلاسيكية التي كانت لها خصوصيتها، والتي جاءت متاخرة بعض الشيء عن المدرسة المصرية والتي ظهرت بواكيرها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ونهايته، وظهر لنا شعراء أعلام، مثل: عبد المحسن الكاظمي، ومحمد رضا الشبيبي، وعلي الشرقي، وعبد الغفار الأخرس وغيرهم .

وكان والداه حريصًا على ارساله إلى المدرسة وأن يُدرس من أساتذة كبار يعلموه أصول النحو والصرف والبلاغة والفقه، ويذكر أنَّه اشترك في ثورة العشرين ضد السلطات البريطانية .

وأول مجموعة شعرية له وهو في الخامسة والعشرين من العمر، تحت عنوان: (خواطر الشعر في الحب والوطن والمديح)، وتبعه إصدار أول ديوان شعري في عام ١٩٢٨م (بين الشعور والعاطفة) .

ويعد الجواهري من بين أهم شعراء العرب في العصر الحديث، إذ تميزت قصائده بالتزام عمود الشعر التقليدي، على جمال في الديباجة وجزالة في النسيج، كما تميّزت بالثورة على بعض الأوضاع الاجتماعية والسياسية، وله ديوان ضخم حافل بالمطوَّلات، واشتهر أيضًا إنّهُ يُضمّن قصائده عبارات من الشعر القديم، أي أنَّهُ استخدم التضمين الابداعي في قصائده، وهو من الشعراء التي انطلقت شهرته من المحلية إلى الاقليمية ومنهم أيضًا الرصافي والزهاوي، ويعد الجواهري قمة الاحيائية العربية حيث استطاع أنْ يحملَ لواء الكلاسيكية الجديدة بعد أحمد شوقي إلى منتصف القرن العشرين؛ بسبب ظهور تيارات جديدة مع ظهور الشعر الحر.

يتصف شعر الجواهري بمتن النسج في إطناب ووضوح ولا سيما حين يُخاطب الجماهير، لا يظهر فيهِ تأثر بشيءٍ من التيارات الأدبية الأوروبية وتتقاسم موضوعاته المناسبات السياسية والتجارب الشخصية، وتبدو في كثير منها الثورة على التقاليدِ من ناحيةٍ، وعلى الأوضاعِ السياسية والاجتماعية الفاسدة من ناحيةٍ أُخرى، واستعمل الجواهري التحريض واستنهاض الجماهير في مرثياتهِ، أي أنَّهُ خلط بين الغرض السياسي والرثاء مكونًا صورة متطورة للرثاءِ، ففي قصائدِهِ الأولى يأخذ الرثاء بحدِّ ذاته من أجل شخصيته ذاتها مثل قصيدته في أبي العلاء التي كان موضوعها فلسفيًا بحتًا، عاش فترةً من عمرهِ مُبْعَداً عن وطنهِ، وتوفى بدمشق عام ١٩٩٧م عن عمر ناهز الثامنة والتسعون عامًا .

ديوان الجواهري:

من أحد دواوينه الشهيرة التي كوّنت قصائده السياسية ظروفًا مختلفة ودوافعًا متضاربة، وحاول فيها ربط الحاضر بالماضي والمستقبل، ولم يتقيد بأنْ تكون ذات طابع خاص واتجاهًا معينًا، من حيث الفكرة أو الموضوع، وإنَّما صورة صادقة لشتى طوارئ تعاقبت عليه، وحالات تأثر بها، سواء أ كان مُصيبًا فيها أم مخطئًا مسيئًا أم محسنًا، وفيها قصائد أخرى روحية تأثر بها بكثير من الأوضاع وتشرب قسم منها، ومن أشهر قصائد هذه الديوان، يا دجلة، وفداء لمثواك، وتنويمة الجياع، وفداء لقبرك . وكان هذا الديوان في سبعة أجزاء وهذه الأجزاء عكست غزارة الانتاج وموهبته، ومن قصائدِهِ في الرثاءِ الخالص قصيدته (آمنت بالحسين) وفيها رثاء لشخصية دينيه مرموقة، فضلًا عن ابداعهِ الأدبي، إذ نلاحظ فيها لمسة فكرية جديدة، أي أنَّهُ نظر إلى هذهِ الشخصية نظرة موضوعية لا نظرة دينية .

قصيدة يا دجلة الخير

من أجملِ القصائد التي قالها الشاعر في الحنين للوطن والاشتياق له، يلمسُ في هذهِ الأبيات المتلاحمة شوق الجواهري إلى وطنهِ إلى دجلتهِ، وإلى ضفافِها واصطفاق أمواجها .

مطلع هذه القصيدة:

حَيّيتُ سفحَكِ عن بُعْدٍ فحَيّيني *** يا دجلةَ الخيرِ، يا أُمَّ البساتينِ

حَييتُ سفحَك ظمآنًا ألوذُ بهِ *** لوذَ الحمائِم بين الماءِ والطينِ

إنّي وردتُ عُيونَ الماءِ صافيةً *** نَبْعًا فنبعًا فما كانت لتَرْويني

وأنتَ يا قاربًا تَلْوي الرياحُ بهِ *** ليَّ النسائِم أطرافَ الأفانينِ

****

من أهم ألقابه متنبي العصر وشاعر العرب الأكبر، وسُمّي متنبي العصر؛ لتمرده وأسلوبه الخطابي مع غزارة شعره، ويعد الجواهري وشوقي مجددين في الموضوعات إلّا أن شوقي جدد أكثر من الجواهري، وكان الجواهري يحملُ التأثر الواضح بالمتنبي وبأسلوبِهِ ورصانتهِ، ولا بد أنْ نذكرَ أنَّ **هناك عدَّة أسباب كانت لنهضة الشعر العراقي الحديث، وهي:**

١- اعتماد الشعر العراقي على الماضي العباسي، فقد استلهم الشعراء العراقيون الشعر العباسي القديم لا سيما عند الشريف الرضي والمتنبي والبحتري .

٢- وجود المراكز الثقافية الدينية في النجف الأشرف وكربلاء والكاظمية المقدسة التي تعلم الأدب واللغة وفنون الكلام، ومن الطبيعي أنْ يظهرَ شعراء في مثل هذه البيئات الثقافية والدينية في الوقت نفسه .

٣- ابتعاد شعرهم تصاعديًا عن علم الدين ليحتضن قضايا وطنية واجتماعية .

مدرس المادة: د. أفنان أحمد